

الهدية بالميلاد

- أو هنري

لم يكن مبلغه إلا دولاراً وخمسين سينتاً وقد اقتناه طول الشهر، ولعل ديلا قد أحصت مجموعة هذه العملات المرة العاشرة ولكنها لم تكن إلا دولاراً وخمسين سينتاً، وكان الغد عيد ميلاد المسيح عيد المسرات، عيد تبادل الهدايا، عيد التلاقي والتضاحك والتلاعب وأما بالنسبة لها فلم يكن هذا إلا يوم الحزن والهَمّ فإنها لم تسطع بشراء هذه كلها بهذه العملات المعدودات من الفضة.

إنها جعلت تتصعد كالمعتاد على فراشها البالي الكدر لأنها لم يقدر لها سوى ذلك، في شقة قديمة لم يدفع كرائها منذ أشهر عديدة وأما الأثاث فلم يكن سوى كومة من القاذورات وكان الباب الكبير يعلّق بجانبه صندوق للبريد وقد علّقت عليه لوحة اسمي رب البيت وزوج ديلا السيد جيمز. إن هذه اللوحة الجميلة كانت تذكر ماضي جيمز الزاهر حينما كان هو مديراً مساعداً لشركة كبيرة.

وقد جعلت تصعد ديلا تزول شيئاً فشيئاً فهي غسلت وجهها ويديها لتستعيد نشاطها وقامت بجانب الشباك وكانت الظلمة تحيط بالخارج شيئاً فشيئاً وكانت لوحات الدكاكين تتلألأ. كانت الدكاكين مزينة بالسرّج والأزهار بمناسبة الميلاد وكان الناس يتهافون على الدكاكين وكانوا يشترون أنواعاً من الهدايا فالأمهات كنّ يشترون الحلوي لأولادهنّ كما كان الأزواج يشترونها لزوجاتهم، ولعل هذا كله كان يتمّ للتعبير عن سرورهم.

ولكنها لم تمتلك إلا دولارين ونصف دولار أي مائة وخمسين سينتاً التي لن يمكن لها أن تشتري بها شيئاً --- لا شيء وهي قد قضت ساعات متفكّرة في ماذا تهديه إلى جيمز هذا الميلاد، هل يكون ذلك شيئاً جميلاً للغاية أو شيئاً حبيباً للغاية يثبت ذكرى لحيبهما ولا ينساه جيمز للأبد ولكن حلمه هذا لم يتحقق مثل الدولار الواحد والنصف الذي كان منشوراً أمامها. ابتعدت ديلا عن النافذة وقامت أمام المرأة ثم فاجأ خاطرها سؤال: إنها أخذت أشعارها الجميلة الزهراء اللينة الحريريّة وشاهدها بعينيها. إنهما لم يمتلكا إلا شيئين يمكن الافتخار بهما؛

مجلة الهند

أشعار ديلا الطويلة الحريرية التي كانت تمسح كعبيها وساعة جدّ جيمز التي خلفها فقد كانت ملكة مزينة بالجواهر والألماس متخلفة من ديلا لجمال أشعارها، وإن وجد ملك إيراني ساعة جيمز الجميلة لتأقت نفسه للحصول عليها.

أرسلت ديلا أشعارها التي أقبضت عليها بيديها وهي انتشرت على جسدها مثل عباء الأسقف المطلة على قدميه. إنها كانت تعمل لها عمل العباء للأسقف، فهي كانت تغطّي من ورائها فقرها وحرمانها وهي كانت تمشي خيلاء أمام جاراتها ولو أنها كانت تفقد نقداً أو عرضاً.

إنها رأتها في المرأة مرة أخرى ولعل فكرة بيعها سببت سيلان قطرتين من أعينها التي أسلمتهما للسجادة البالية. ماذا لأشعاري إنها ستنمو مرة أخرى وأما لمحات السرور فهي لا تزور إلا بين الفينة والفينة. إنها تفكرت في هل هي لا تستطيع بأن تضحي هذا القدر من الأضحية للسير مع لمحات السرور هذه ولإرضاء جيمز زوجها؟ فعزمت ديلا على أنها ستبيع أشعارها للإهداء إلى جيمز فأسرعت إلى سترتها فارتدتها وقلنسوتها وأغلقت الباب من ورائها ثم خرجت ولا يعلم متى وصلت إلى قاطعي الأشعار مخترقة سيل الأضواء.

ولما خرجت ديلا من ذلك الدكان فوجدت أشعارها مقطوعة بأسلوب حسن وكانت هي تمتلك سبع عملات ورقية لدولار واحد والآن كانت هي قادرة على أن تهدي شيئاً إلى جيمز مثلما كانت هي تحلمه منذ شهور. إنها مسحت أشعارها الطويلة بيديها ولكن لم تجد إلا المقطوعة من أشعارها فكانت أشعارها الحريرية الجميلة الطويلة ولكنها في صورة دولارات يمكن بها أن تشتري هدية لزوجها بمناسبة الميلاد.

إنها تفكرت في أن جيمز سيغمره السرور حينما يستلم هدية بالصدفة. إنها جنّ جنونها وهي ضغطتها بجانبها وجعلت ترقص.

كانت خطوات ديلا تتخطى بسرعة نحو شارع غنغ حيث تقع دكاكين واسعة ذات أسباب وأثاثات جميلة غالية. وكانت هي تلك الدكاكين التي كانت تستحيي منها وتذبذب في دخولها ولكنها الآن كانت تمتلك ثمانية دولارات ونصف

مجلة الهند

دولار في حقيبتها والآن لم يكن أيّ خوف عليها، إنها كانت تشعر كأنها أميرة كبيرة خرجت للتنزه.

لم تكن ديلا تفصل عما ينبغي لها أن تشتري لجيمز فقد كان كل شيء هنا جميلاً وغالياً إلا أنها لم تظفر بشيء يجمل بجيمز ويصلح له.

ومتقدمة من شارع غنغ إلى المتنزه القديم توقفت لمحاتها فجأة على ساعة موضوعة في خزانة العرض ولكن لم تكن ساعة موضوعة في خزانة العرض تضاهي بساعة جيمز جمالاً وقيمة ولكن شريط ساعة جيمز قد أصبح قديماً بالياً للغاية ولذا فهو كان يتمنى أن يكون لساعته شريط جديد فتوقفت لمحات ديلا على شريط جميل فحكمت على أنها ستهدي هذا الشريط إلى جيمز بهذه المناسبة السعيدة.

فلما خرجت ديلا من دكان الساعات فلم تكن بيدها إلا علبة صغيرة وما بقي من خمسين سينتاً في حقيبتها.

وجدت ديلا جيمز منتظراً بها خارج بيته لأنه لم يكن لقفله إلا مفتاح واحد كانت تمتلكه ديلا. تقدّم جيمز نحو ديلا مسرعاً حينما رآها لكي يضغطها بجنبه ولكن يديها المرتفعتين قد توقفتا مرتفعتين لأنه كان ينظر إلى ديلا بعينين لم يكن فيهما سخط ولا حيرة ولا رضى ولا تعبير عن أيّ سرور ومع ذلك كانت عيناه تلمعان أيّ لمعان.

"ماذا فعلت يا ديلا! قطعت أشعارك؟ لماذا فعلت هذا؟ لم ولم؟؟" سألتها جيمز ممزّقا حجاب الصمت.

"حبيبي جيمز! كلّ ما فعلته قمت به لأجل رضاك وعندما تعثر على السبب من ورائه يسكت عنك الغضب" ردّت عليه ديلا فاتحة الباب.

"هل قطعت أشعارك؟" سألتها جيمز مرة أخرى كأن عينيه لا توقنان بما رآه.

"جيمز الحبيب!" قالت له ديلا بصوت أعلى من ذي قبل "إن قطعت أشعاري فأني ضرر فيه فهل لست تلك ديلا التي كانت تحبّك والتي ترضى عن أن تضحي بنفسها لذاك. إني قطعت هذه الأشعار لمجرد أنني كنت في حاجة ملحة

مجلة الهند

إلى النقود للإهداء إليك بمناسبة الميلاد وماذا لأشعاري إنها ستنمو كما كانت حتى الميلاد القادم".

ولكن جيمز كان يحدق النظر إلى ديلا وهو صامت لا يتكلم كأن الجان قد مسّه أو آذاه الإنسان.

أيا جيمز! بفضلك الزم السكوت، غداً عيد الميلاد فهل لا تحييني بالميلاد؟ أنت قائم حتى الآن كما كنت من قبل --- تقدّم واضغطني بجانبك، قد جئت بهدية غالية لك".

كأن جيمز قد صحا فجأة فتقدّم وضغط ديلا بجانبه وجرت من عينيه دمعتان وانجذبنا في أشعار ديلا --- دمعتان للحب.

فأخرج جيمز علبة من جيبه ووضعها على الطاولة.

"انظري فقد جئت بهدية غالية لك" قال هذا وفتح العلبة ووضعها على الطاولة --- أمشاط متنوّعة ملوّنة منتشرة على الطاولة فقد كانت ديلا تتمنّى منذ سنوات أن تمتلك زمرة من الأمشاط الجميلة فكلما رأت هذه الأمشاط موضوعة في خزانة العرض في دكان بشارع غنغ صبرت على بؤسها والآن وهي لم تكن في حاجة إليها --- والآن وهي لم تتق نفسها في الحصول عليها فهي كانت لها. إنها قد حصلت عليها ولكنها لم تكن في حاجة إليها وهي ليست مفيدة لها.

فرأت ديلا أن الهم لا يفيدها فقد كان ما قدّر والآن قد جاءت نوبته لكي تري هديتها التي جاءت بها لزوجها ففتحت العلبة ووضعت هذا الشريط الأزهر اللامع على كفها ثم قدّمته إلى جيمز مفتخرة. "جيمز! هذا جميل أم لا؟" سألته بشوق تامّ "ستعرف على الوقت بساعتك مائة مرة على الأقل لكي يرى الناس ساعتك الجميلة وشريطها الجذاب. هاتني ساعتك كي أراها وجمالها بهذا الشريط".

لم يعمل جيمز على ما قالت له ديلا وبالرغم من ذلك اضطجع على الفراش. "اسمعي يا ديلا! قومي بهذه الهدايا وضعيها في الخزانة. إنها غالية إلى حدّ لا تجمل بنا نحن الفقراء فلن نستخدمها لو أردنا استخدامها فإني قد بعث ساعتني لكي أهدي الأمشاط إليك وأما أنت فقد بعث أشعارك للإهداء إليّ --- هل رأيت ماذا فعل بنا القدر فهل رضيت عن هزء القدر هذا؟".

مجلة الهند

فضحك الاثنان من هذه النكتة حتى بدت نواجزهما فنسيا همومهما وغمومهما. إنهما حصلا على مسرة لا تحصل للناس بتقديم هدية قيمتها مآت ألف فقد أهدى بعضهما إلى البعض حباً خالصاً طاهراً.

ترجمة من الأردوية: د. أورك زيب الأعظمي